

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشِيرًا مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ، مُوسَى نُورًا وَهُدًى
لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ
مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾

تقدير الله عز وجل - إعجاز القرآن الكريم

(006) سورة الأنعام

اللقاء الثاني عشر من تفسير سورة الأنعام - شرح الآيات 91 - 94

2023-06-17

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين، وبعد:
فهذا هو اللقاء الثاني عشر من لقاءات سورة الأنعام، وصلنا إلى الآية الواحدة والتسعين من السورة وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشِيرًا مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى
لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91)

(سورة الأنعام)

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي ما عظموه حق عظمتهم، وما أجلوه حق إجلاله، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13)

(سورة النوح)

قال ابن عباس: لا ترجون له عظمة، وهذه الآية تكررت في كتاب الله في هذا اللفظ ثلاث مرات، المرة الأولى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشِيرًا مِّنْ شَيْءٍ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَعَزِيزٌ (74)

(سورة الحج)

والثالثة في الزمر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ خَمِيصًا قَبَضْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67)

(سورة الزمر)

المنهج لتقدير الله عز وجل:
أولاً- عدم إنكار القرآن الكريم:



من ينكر القرآن اعتقادياً يكفر
وكان هذه الآيات الثلاثة تعطي المنهج لتقدير الله حق قدره، فهذه تبين أن حالهم في عدم تقدير الله حق قدره هو إنكار الوحي، وإنكار الرسالة، فالذي ينكر الوحي لا يقدر الله حق قدره ۗ **إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا نَبِإً مِّنْ شَيْءٍ** ۗ أنكروا القرآن، والحقيقة أن الذي ينكر القرآن اعتقادياً يكفر، فالذي يقول هذا القرآن ليس كلام الله يكفر، لكن الذي ينكر عملياً لا يكفر، لكنه يؤدي به الأمر إلى عدم تقدير الله حق قدره، أقصد عملياً أنه يقول هذا الكلام كلام الله، لكنه لا يتعامل معه على أنه كلام الله، فلا يُجل ما أحله الله، ولا يحرم ما حرمه الله، ففي النتيجة يلتقي الطرفان في أنهما لا يقدران الله حق قدره، مع بيان أن الأول ليس هناك مجال للمقارنة بينهما في الاعتقاد، لكن **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** **إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا نَبِإً مِّنْ شَيْءٍ** ۗ فمن أنكره فقال: هذا القرآن ليس كلام الله، كافر لم يقدر الله حق قدره، ومن قال: هذا القرآن كلام الله، ولكنني سأحكم القوانين بيني وبينك، ولن أحكم كتاب الله بيني وبينك فهو ما قدر الله حق قدره، مع اعترافه بأن الله أنزله لكنه لم يعمل بمقتضاه، فهذه مشكلة أيضاً.

ثانياً- التعرف إلى أسماء الله الحسنى:

والآية الثانية **مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَعَزِيزٌ** في سورة الحج، حينما تتعرف إلى أسمائه الحسنى: العزیز، الجبار، الرحمن، الرحيم، اللطيف تقدره حق قدره، فالسبيل الثاني هو أن تتعرف إلى أسمائه الحسنى.

ثالثاً- الإيمان باليوم الآخر:



يكفيك أن تأتي ما أمر به إذا أنت تعرفه

والثالث في سورة الزمر ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ أن تؤمن باليوم الآخر، فتقدره حق قدره، فهذه الآيات الثلاثة أعطت هذه المعاني، بقدره أي يعطيه مقداره، ففي دنيا البشر أنت قد تقدر إنساناً حق قدره، أو تنتقص من قدره، لو أنك جلست مع إنسان لا تعرفه، أعطيته قدراً معيناً -طبعاً والمؤمن يقدر الناس وينزل إليهم منازلهم، لكن يتكلم بالعموم- ما أعطيته الحجم المناسب له، ثم جاء من همس بأذنك بأن فلان دكتور في اختصاص نادر، فالآن تنتهي عليه ثناء مختلفاً، تتعامل معه تعاملًا مختلفاً، تقدم له ضيافة، تتأدب في حضوره، تستمع منه، تخاطبه بضمير الجمع، فتعطيه قدره، أما في البداية لم تعطه قدره المناسب له لجهلك به، ربنا جل جلاله لا يوجد إنسان في الأرض ولا حتى الأنبياء يمكن أن يعطيه قدره، يعني القدر الكامل مستحيل؛ لأنه لا يعرف الله إلا الله، ربنا من العظمة بحيث لا يمكن أن يقدره إنسان بالمعنى الحرفي للكلمة حق قدره، لكن ربنا جل جلاله بشر الأمور علينا فقال: إذا أتيت ما أمرت به، فقد قدرته حق قدره، أي يكفيك أن تأتي ما أمر به إذا أنت تعرفه، تعرفه معرفة بسيطة لكن ما دامت هذه المعرفة كافية بأن تطيعه فقد قدرته حق قدرك، لذلك في الدعاء النبوي:

{ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَاقِبَتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أَحْصِي نَبَأَ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَتَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِي. }
(صحيح مسلم)

لا يعرف الله إلا الله، ولا يعرف قدره إلا الله جل جلاله، وربنا جل جلاله أيضاً من زاوية ثانية بشر علينا أسباب هذا الأمر، لأنه عرفنا إلى ذاته بآيات وأحاديث واضحة لا نزيد عليها ولا ننقص منها، فما نقوله نحن عن الله قد قاله الأنبياء، لا نستطيع أن نقول غير ما قاله الأنبياء، لا نزيد، فما عرفنا الله تعالى به نكتفي به.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا بَشِيرًا مِّنْ نَّبِيٍِّّ﴾ أنكروا الرسالة، أنكروا القرآن الكريم، طبعاً الحديث هنا عن المشركين، وعن بعض أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، الآن القرآن الكريم يحاجهم فيقول: ﴿قُلْ﴾ مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ﴾ إذا كنتم تزعمون أن الله ما أنزل على بشر من نبي، فالكتاب الذي جاء به موسى هذا كلام من؟ وأنتم أيها اليهود تؤمنون به، حرفتموه ولكن تؤمنون أن الله أنزل شيئاً على نبي وهو نبي الله موسى، ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ﴾ التوراة الصحيحة كما أنزلها الله تعالى.

﴿نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ أنزله الله نوراً وهدى للناس، النور يكشف لك الطريق، والهدى يعصمك من الضلال، والكتب السماوية كلها جاءت نوراً وجاءت هدى، نور يوضح لك طريقك، الإنسان من غير كتاب، من غير منهج كأنه في ظلام دامس لا يعرف أين يسلك، فإذا جاء النور اتضح له الطريقان، فإذا جاءت الهداية عرف أي طريق يسلك منهما، لو أن إنساناً يمشي في غابة، والغابة مظلمة، وهو يريد مكاناً معيناً، فجاء بضوء كاشف نور، فلما أثار له اتضح له أنه من هنا طريق ومن هنا طريق، أيهما أسلك؟ وجد لوحة مكتوب عليها: هذا الطريق يؤدي بك إلى القرية الغلانية فهنا هدى، فالقرآن نور وهدى، فهو يبين لك الطرق، طريق الضلالة وطريق الهداية، ثم يبين لك أي الطرق تسلكها، فهو نور وهدى.

معنى التدين الانتقائي:

﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾ القراطيس هو الصحيفة التي يُكتب فيها، ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾ أي صحفاً متفرقة، لا تجمعونها كاملة، وإنما قراطيس، لماذا فعلوا ذلك؟ قال: ﴿تُبَدِّلُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ يعني الصفحة التي تناسبه يخرجها؛ لأن فيها ما يؤيده، لأن فيها ما يريد، والصفحة التي يجد فيها ذكراً بأن نبياً سيأتي في آخر الزمان مصدقاً لموسى عليه السلام، وسيأتي برسالة، وكتاب واسمه أحمد يخفونها، هذا يسمى "التدين الانتقائي" القرآن يعلمنا بني إسرائيل، اليوم بعض المسلمين يجعلون القرآن قراطيس، يبدونها ويخفون كثيراً، القرآن ربنا جل جلاله حفظه من التغيير والتبديل والتحريف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)

(سورة الحجر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ بِحُكْمِ يَهَا النَّبِيِّونَ الَّذِينَ آسَلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيَّانِيُونَ وَالْأَحْيَارُ بِمَا اسْتُحْفِطُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَحْسَبُوا النَّاسَ وَاحْسِنُونَ وَلَا تَسْتَوُوا بِآيَاتِي تَمَتًّا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44)

(سورة المائدة)



مشكلة القرآن في التطبيق وليست في الحفظ

ترك حفظها لهم فأضاعوها، القرآن ما ترك حفظه للمسلمين، قال أنا أحفظه، فما تجد أن القرآن قرأطيس، يعني آيات موجودة عند فلان وآيات غير موجودة، القرآن نفسه يُقرأ في مشارق الأرض ومغاربها، محفوظ بلفظه، متواتر بقراءته حتى شفهيًا ومكتوب في المصاحف، فليس هناك مشكلة في حفظه، لكن الآن في التطبيق يجعله بعض المسلمين قرأطيس، فيمر على آية الربا وكأنه لم يقرأها، يقرأ القرآن وأمواله في البنوك الربوية، ويفرض بالربا، ويتعامل بالربا، ويدفع بالربا، فهو أخفى شيء من كتاب الله تعالى، أظهر ما يريد، وأخفى ما يريد، الأشياء التي تروق له يظهرها، والأشياء التي لا تروق له يخفيها، لذلك قال تعالى مخاطبًا اليهود أيضًا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ وَنُحْرُوجُونَ قَرِيبًا مِّنْكُمْ مِّنْ دِيَارِهِمْ تَطَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِيمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تَعَادُوهُمْ وَهُوَ مَحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفْتُونُونَ بِنِعْمِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِنِعْمِ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا جِزَاءُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)

(سورة البقرة)

الدين كلُّ لا يتجزأ، من حيث الاعتقاد يكفر من يجزئه، فإذا قال إنسان أنا مؤمن بما جاء في القرآن الكريم، بكل آيات الأخلاق، الدين أخلاق، الدين تعامل، أما آيات الجهاد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۚ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۚ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (191)

(سورة البقرة)

وكذا آية لا تؤمن بها، ربنا لا يتكلم بذلك، أو قال آيات الرحمة ربنا رحيم، أما قوله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَنَحْنُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلِيُّ وَجُوهِهِمْ غُمًّا وَنُكْمًا وَضَمًّا ۖ مَا وَاهُمْ
جَهَنَّمَ ۖ كَلَّمَا حَبَّتْ زُرَّتَاهُمْ سَعِيرًا (97)

(سورة الإسراء)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَوْمَ تَقُولُ لِحَبَّنتُمْ هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ أَمْتَلٍ وَأَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (30)

(سورة ق)

الإله عظيم، لا يُحرق عباده، هذا كفر؛ لأن الاعتقاد لا يوجد تجزؤ، القرآن كله من عند الله بما فيه من آيات الرحمة وآيات العذاب، بما فيه من آيات الدعوة وآيات الجهاد، الآن نفهمه، متى الدعوة ومتى الجهاد، فهناك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَا وَاهُمْ حُبُّهُمْ ۚ وَيَسِّنَّ الْمُصِيبُ (73)

(سورة التوبة)

في أرض المعركة، وهناك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ (125)

(سورة النحل)

المطلوب أن نفهم، ولكن أن ننكر ما ورد فيه من آيات نجدها لا تناسب عصرنا، أو والله الحدود اليوم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَتْ تَكْلًا مِّنَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38)

(سورة المائدة)

يعني قطع اليد اليوم هناك عقوبات إصلاحية، كأن عقوبات القرآن غير إصلاحية، ماذا يقابل العقوبة الإصلاحية؟ عقوبة إفسادية؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179)

(سورة البقرة)



التدين، الانتقائي يوقع صاحبه في الفسوق.

معقول أن تقتل القاتل! قتل فيقتله؟ أنت بذلك تزيد من المشكلة، قالها لي أحدهم، قال أنا لا أفهم، كيف إنسان قتل ولا نقله، فنحن بذلك ننمي المشكلة، قال تعالى: **﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾** فهذا الذي يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض اعتقاداً هذا يكفر، طبعاً يُبَيِّنُ له ويُعَالِجُ، لا نقول يكفر بمعنى أننا نحكم عليه بالكفر كفر، أنا الآن أحكم بشكل عام، أما بخصوص الأشخاص فهذا أمر آخر يحتاج إلى قضاء وحكم. أما على المستوى العملي فالذي يؤمن ببعض الكتاب ويترك بعضه ينتقي تدينه انتقاءً فهذا يقع في الفسوق، أما الذي تزل قدمه في بعض القضايا فهو يؤمن إيماناً كاملاً بأن الله تعالى قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَبَحْضُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَرْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30)

(سورة النور)

وبأن غض البصر واجب على المسلم، وهو يحاول فعله لكن تزل قدمه فيتوب، فهذا يعني في دائرة الإيمان، لكن هناك من ينتقي إيمانه انتقائياً، الآن نحن في موسم الحج-نسأل الله أن يكتب السلامة للحجاج-، فالحج عبادة جميلة بالنسبة له، معه أموال جيدة، يحجز في الحج من فئة العشر نجوم، يذهب لسبعة أو ثمانية أيام، يحج بفنادق الخمس نجوم، ويعود الحاج أبو فلان، ويزين بيته ويستقبل الناس، فأمره ميسرة، أسأله كيف هي معاملتك المالية؟ تجده يتعامل بالربا، بالنسبة له الحج وجده سهلاً، فالمال موجود، والقدرة موجودة، والموافقات موجودة، يعني عبادة فيها مظاهر بالنسبة له، ويتصور ويعود وينشر، أنا أتكلم عن بعض الناس، لكن الالتزام؛ يجوز، لا يجوز، حرام، يجده صعباً على نفسه، فهذا مصيبة، هذا اسمه التدين الانتقائي.

﴿تَحْمِلُونَهُ قَرَابِسَ نُبُوتِهَا﴾ تبتون ما تشاؤون منها **﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾**.

﴿وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعَلَّمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ الكتب السماوية التي تأتي من الله عز وجل تعلم الناس شيئاً لم يعلموه لا هم ولا آباؤهم من قبلهم.

﴿قُلِ اللَّهُ﴾ يعني قل الله هو الذي نزل الكتاب؛ لأنهم قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء.

﴿ثُمَّ دَرَّهُمْ﴾ أي أنت اتجه إلى الله تعالى بكلتكتك، وأمن به إيماناً كاملاً بوجوده، ووحدانيته وكماله.



أصل الخوض هو الخوض في الماء

﴿ثُمَّ دَرَّهُمْ فِي خَوْصِهِمْ بَلْعُونَ﴾ أصل الخوض هو الخوض في الماء، مخاضة ماء ينزل الإنسان فيها فيبتل، وقد يكون فيها طين، ثم استعير اللفظ للدلالة على أي إنسان يخبط خبط عشواء، **﴿ثُمَّ دَرَّهُمْ﴾** أي ارتكهم **﴿فِي خَوْصِهِمْ بَلْعُونَ﴾** واللعب هو الشيء الذي لا طائل وراءه، ولا نتيجة منه، انظر لطفل يلعب بسبارة، لعب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۚ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ تَبَاءُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۚ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورِ (20)

(سورة الحديد)

واليوم ليس الأطفال فقط، انظر إلى رجل كبير في السن يجلس خلف الموبايل ويلعب لعبة لساعة، ساعتين، ثلاث، أربع، النتيجة صفر، لا شيء، لعب. قال: **ثُمَّ دَرَّهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** لأن أعمالهم لا يرجى منها شيء، يخوضون فيما يحسنون وما لا يحسنون.
ثم بيّن الله تعالى حقيقة القرآن الكريم فيقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ لِّلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ (92)

(سورة الأنعام)

كتاب مكتوب، شاء الله تعالى أن يحفظ الكتاب في الصدور ثم في السطور.
وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ الشامي إذا سأل شخص آخر، يسأله يقول له: كم ولد البركة عندك؟ يعني الزيادة، النمو، تسمى بركة، بارك الله لك في مالك أي كثره لك، فالبركة هي الزيادة والخير الكثير.
وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ عمّ خيريه وكثر، فمن يقرأ في القرآن الكريم يتعلم ما يصلحه في حياته، وينجو في آخرته، يتعلم ما يصلحه في علاقته مع زوجته، مع أولاده، في مجتمعه، مع الناس، القرآن الكريم مبارك، فيه بركة.
مُصَدِّقٌ لِّلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ يعني ما جاء قبله من الكتب، وهذا تعبير قرآني، دائماً تصديق للذي بين يديه، قد يتوهم إنسان أن الذي بين يديه يعني ما بعده، لا الذي بين يديه في التعبير القرآني الذي سبقه، يصدق القرآن أن يأتي موافقاً لما قبله ويشهد له بالسبق، فالقرآن يشهد للإنجيل بالصدق، للإنجيل الصحيح، ويشهد للتوراة غير المحرفة بالصدق، يصدقها أي يشهد لها بالصدق.
في الحديث لما جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال:

{ بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبته إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: "يا محمد أخبرني عن الإسلام"، فقال له: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: "صدقت"، **فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيَصَدِّقُهُ**، قال: "أخبرني عن الإيمان" قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: "صدقت"، قال: "فأخبرني عن الإحسان"، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: "فأخبرني عن الساعة"، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: "فأخبرني عن أماراتها"، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان، ثم انطلق فلبث ملياً، ثم قال: يا عمر، أتدري من السائل؟ قلت: "الله ورسوله أعلم"، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم. }

(صحيح مسلم)

يعني قال له: ما الإيمان؟ قال له: أن تؤمن بالله، قال له: صدقت، يسأله ويصدق، فالذي يصدق الآخر يقول لي والله حصل اليوم كذا وكذا وكذا، أقول لك نعم وأنا علمت بذلك، فأنا صدقتك؛ أي شهدت لك بالصدق، فالقرآن يصدق الذي بين يديه بمعنى أنه يصدق ما جاء قبله من الكتب السماوية السابقة؛ لأن الكتب كلها جاءت بالتوحيد، والعبادة، بغض النظر عن طريقة العبادة لكن النتيجة التوحيد والعبادة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)

(سورة الأنبياء)

التوحيد والعبادة، أي نهاية العلم ونهاية العمل، العلم توحيد، والعمل عبادة.



ومكة هي مركز العالمين القديم والحديث

مَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَيُنذِرُ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا أم القرى هي مكة، ومكة هي في مركز العالمين القديم والحديث، في الوسط الهندسي تماماً وفق الدراسات الحديثة مكة هي مركز العالمين؛ القديم والحديث، القارات القديمة والحديثة الوسط الهندسي لها مكة، فهذا إشارة إلى أن الأصل هو مكة، وهو:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96)

(سورة آل عمران)

ومنه شعب النور، ومن حولها ربما تشمل الأرض كلها، يعني ما حول مكة هو الأرض كلها، لأن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم جاءت عامة شاملة ليست لقومه فقط، والله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (107)

(سورة الأنبياء)

الربط بين الإيمان بالآخرة والإيمان بالقرآن:

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ أَي يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ، الَّذِي يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ هُوَ الَّذِي يُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ، وَاللَّهُ تَعَالَى فِي آيَةِ أُخْرَى يَقُولُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْسِرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَنْ يَسْئَلَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (51)

هناك ربط بين الإيمان بالآخرة والإيمان بالقرآن، لأن الذي يؤمن بالآخرة ينتفع بالقرآن، إذا إنسان يقرأ القرآن ولا ينتفع به هو لم يضع الآخرة نصب عينيه، لأن القرآن الكريم فيه ذكر الجنة والنار، فيه ذكر المال، يعني الطالب الذي لا يؤمن بأن هناك امتحاناً آخر العام لا ينتفع بالمواد والمنهاج، لا يدرس، إذا اقتنع أنه لا يوجد امتحان لا يدرس، جرب أنت مع ابنك، قل له بابا لا يوجد امتحان آخر السنة ولكن اقعِد وادرس، فيقول لك لماذا سادرس؟ إذا لا يوجد امتحان لا يوجد دراسة، فمادام لا يوجد آخرة فلماذا أقرأ القرآن وأذاكر به وأتدبره وأتعلمه؟ فهو منهج للآخرة، والآخرة غير مقتنع بها، إذا لم ينتفع بالقرآن، فقال: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾** لأنه يحذر وينذر ويبسّر.

﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ يحافظ على صلاته؛ أي يأتي بها على الوجه الذي أَرَادَهُ اللهُ منها فيؤديها وفق ما يرضي الله تعالى، يحافظ عليها، لا يفوتها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِنْهُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا يُلَاقِي إِلَّا الظَّالِمِينَ فِي عَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ خُورُوا أَنْفُسَكُمْ ۗ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93)



الله تعالى لا يسأل من أجل الجواب

هذا سؤال استفهام، وربنا جل جلاله لا يستفهم ليأتيه الجواب؛ لأنه جل جلاله هو العالم جل جلاله، هو العليم، فلا يسأل من أجل الجواب، نحن نستفهم للجواب، لكنه يستفهم ليستخرج الجواب منك، لينطقك بالجواب فيكون ذلك ادعى لقناعتك بالفكرة، أحياناً الأب يعلم الجواب، لكن يسأل السؤال لابنه حتى يأتي الجواب من الابن فيرسخ عنده، هذا اسمه استنتاج، أن تستنتج الشخص الآخر **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾** ليس هناك أظلم ممن افترى على الله كذباً، هذا الاستفهام التقريري، معنى الكلام لا يوجد في الأرض كلها إنسان أظلم من إنسان افترى على الله كذباً. فأنت إذا إنسان افترى عليك كذباً، والفرية هي الكذب المحض الذي ليس عليه بينة ولا دليل، أحياناً هناك كذب الفكرة لها أصل، لكن هو كذب في التفاصيل، يعني هو رأيك في موقف في مكان معين، فقال رأيت فلاناً البارحة في المكان الفلاني وأظنّه كان يجلس مع فلانة، وفي هذا المكان في العادة تُدار الخمور، فبدأ ينسج قصة مبنية على وجودك في المكان، هذا كذب، لكن أن تكون أنت في بيتك ويقول أمس رأيت فلاناً في المكان الفلاني وأنت في بيتك هذه فرية، ليس لها أصل أبداً، ولا أي دليل، أما الكذب ممكن أن يبني بعض المعلومات الكاذبة على معلومة صحيحة، أما الافتراء هو الاختلاق، اختلاق الكذب من أساسه، فلو أن إنساناً افترى عليك، اتهمك بدينك، أو بعفتك، أو بطهارتك، أو بشيء، فأنت تقول هذا ظالم، يظلمني ظلماً عظيماً، لكن ليس ظلمه شيئاً أمام أن يقول على الله الكذب، لأنه لماذا يعظم عندك أن يقول إنسان عنك كذباً أو يفترى عليك؛ لأنك إنسان شريف، أنت إنسان عظيم في المجتمع، فكيف يفترى عليك؟! أما لو كان إنسان يشرب خمراً، وافترى أحدهم عليه أنه رآه يشرب خمراً هل ينزعج؟ ولو كانت فرية، ففي الأصل ليس له مكانة عند نفسه، فهو كما يقال ما ترك معصية إلا جاء بها، فإذا افترى عليه إنسان وقال هذا الإنسان فعل كذا، هو ما فعلها ولكنه فعل أضعافها فلا يتأثر، ولكن عندما يُتكلم عن شريف أو عظيم يتأثر، تكون الفرية عظيمة أن تتكلم عن عظيم، فأعظم العظماء هو الله تعالى؛ العدل الحكم الجليل جل جلاله، فلا يوجد في الأرض أظلم من إنسان يفترى على الله كذباً، كان يقول: إن الله لم يرسل رسولاً، أو يقول: إن الله أجبر عباده على المعصية، أو يقول: إن الله تعالى لا يعدل بين عباده، أو يقول: إن الله تعالى -والعباد بالله، حاشاه جل جلاله- ليس عنده حكمة في العطاء، فيعطي الخلاوة لمن ليس له أضرار، هذا يفترى على الله كذباً، يعني عندما يتكلم على الله عز وجل بشيء غير صحيح.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ أن يدعي النبوة، وهناك أشخاص ذُكروا في التاريخ منهم مسيلمة الكذاب ادعوا النبوة، قالوا إن الله يوحي إلينا ولم يوح إليهم شيء، فهذا من أعظم الفرية على الله تعالى.



الحساب عند الموت

﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أيضاً أشخاص، هنا جل جلاله يتكلم عن حوادث وقعت في مكة لن نفوس في تفصيلاتها، لكن هناك من ادعى النبوة، هناك من قال آتي بآيات تشبه آيات القرآن الكريم، فهنا يفضحهم جل جلاله، ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أين الحساب؟ الحساب عند الموت.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ التَّوَمَّ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَبْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ "لو" في العادة تحتاج إلى جواب، كان أقول لك: لو جئتني لأكرمك، لو ذهبت معي لسررت، فهناك جواب لـ "لو"، هنا أين الجواب؟ لا يوجد جواب، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ﴾ يضيق الكلام عن ذكر الجواب، يعني لو قال لك: ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت لرأيت عذاباً، لرأيت عذاباً، لرأيتهم يصرخون، انصرف ذهنك إلى الجواب فقط، أنت ذهبت، أنت وبعض زملائك في نزهة، النزهة جميلة جداً، وأحد أصحابك الذين تحبهم تخلف عن النزهة، فجئته في اليوم الثاني وقلت له: لو ذهبت معنا، ما الذي كان سيحصل؟ والله لن أقول لك، لكن لو ذهبت فقط، البقية عندك، تخيل كم كنا مسرورين، أنت تخيل ما الذي خسرت، خسرت نصف عمرك، لو ذهبت معنا وفقط.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ آيِسَٰنَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (30)

(سورة الأنعام)



الأحاديث كثيرة في إثبات عذاب القبر

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ﴾ في الشدائد، غمرات الموت: شدائد الموت، يعني كنت رأيت شيئاً عجبياً جداً، لن أقوله لك، لكن الموقف جداً صعب، هذه الآية نص في عذاب القبر، ووجه على من ينكر عذاب القبر، طبعاً الأحاديث كثيرة في إثبات عذاب القبر، لكن هذه الآية نص قرآني، هي وقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46)

(سورة غافر)

وهذه الآية نص أوضح في ذلك **﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾** في هذه اللحظة يبدأ العذاب **﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾** ملائكة العذاب **﴿تَاسِطُونَ أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾** انتهى، أنت كنت تدبر نفسك، الآن نفسك عند الله انتهى.

﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ **﴿النُّومُ﴾** اليوم اليوم، في يوم الموت قبل يوم القيامة، بدأ العذاب.

﴿النُّومُ نُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الهون من الإهانة، ودائماً الهون يقابل الاستكبار، العذاب المهين يقابل الاستكبار، والأليم يقابل المعصية، فعندنا عذاب عظيم، وعندنا عذاب أليم في شدته، وعندنا مهين في ذلته، فهنا عذاب الهون لأنه سيقول **﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾** فاستكبارك يناسبه أن تُهان الآن.

﴿النُّومُ نُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ يَمَّا﴾ بما أي بسبب هذه باء السبب **﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾** بما سبق الحديث عنه وهو الافتراء على الله كذباً، اليوم أحبابنا الكرام صور الافتراء على الله كذباً كثيرة من غير أن يشعر الناس بها، فيفتري الناس على الله كذباً من غير أن يدفقوا فيما يقولون، والواحد فينا إذا نُكلم بحق أبيه يقيم الدنيا ولا يقعدا، يقول لك أبي خط أحمر، ثم تتكلم عن الله عز وجل بغير بينة وبغير حجة دون أن تنتبه، فالإنسان ينبغي أن ينتبه فيما يقوله عن الله تعالى، فيلتزم بما جاء في الكتاب والسنة **﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا تَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (94)

(سورة الأنعام)

الإنسان في الدنيا يعتز بجماسته، يعتز بمنصبه، يعتز بخدمه، بحشمه، بأولاده، بعائلته، يوم القيامة يأتي الإنسان فرادى إلى الله تعالى **﴿فُرَادَى﴾**، كل واحد يأتي وحده إلى الله تعالى. **﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾** بل إنه ورد في الحديث الصحيح:

{ يُخَشِّرُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِفَاهَ عَرَاهِ عُرْلًا، قلت يا رسول الله الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: يا عائشة الأمر

أشد من أن يهيم ذلك }

(متفق عليه)



كل مكتسباتك في الحياة زائلة

عُرْلًا غير محتون، قبل الختان **﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾** كل مكتسباتك في الحياة زالت، كل مكتسبات الإنسان في الحياة من عزوة، من عشيرة، من قوة، من أصنام كان يعيدها من دون الله، من شركاء، من شفعاء، يأتي وحده.

﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ أي ما وهبناكم، وما أعطيناكم من الدنيا؛ أموالها، قصورها، خدمها، حشمها، أولادها، بكل ما في الدنيا من ملذات **﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾**. انتهت.

﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ البين شيء متعلق بالاتصال والانفصال معاً، فأنا بيني وبينك هذه الطاولة، تفصلني عنك، فإذا أزلتها حصل الاتصال، البين **﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾** تقطع فاعلها، بينكم طرف، فالتأويل: تقطع الوصل بينكم، فهذا الإنسان كان متصلاً بمنمه الذي يعيده، هذا الإنسان كان متصلاً بعشيرته، هذا الإنسان كان متصلاً بماله، لقد تقطع الوصل بينكم، لم يعد هناك أي وسيلة للتواصل بينك وبين الأشياء التي تعتز بها، انتهى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُبْصِرُوتَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَعْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنَهُ (11)

(سورة المعارج)

لأنه تقطع الوصل بينه وبين بنيه، الإنسان اليوم في الدنيا يفدي بنيه بنفسه، أي أب عنده رحمة يقول لك: يا ليت المرض لي وليس لابني، يوم القيامة من شدة العذاب يقول: خذوا ابني مكاني، خذوا ابني مكاني وأتركوني، من شدة العذاب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُبْصِرُوتَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَعْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنَهُ (11) وَصَاحِبِيهِ وَأَجِيهِ (12) وَقَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (13) وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا نَمَّ يُجِيعِهِ (14) كَلَّا ۚ إِنَّهَا لَطَلَىٰ (15)

(سورة المعارج)

نار محرقة، يوم القيامة المشهد مفرع أن يكون الإنسان وحده، ليس معه شفعاء، ولا معه شركاء، ولا أصنام، ولا معه عزوته، ولا عشيرته، ولا فصيلته، ولا قوته، ولا ماله، ولا منصبه، أبدأ.

لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ۚ أي لقد تقطع الوصل بينكم، فلم يعد بالإمكان أن أتكلّم مع أحد على الهاتف لأحل المشكلة، كله معطل، تقطع الاتصال بينكم، لم يعد هناك أي وسيلة تواصل.

وَوَصَّلَ عَنْكُمْ ۚ أي ذهب عنكم، يقال: ضل الماء في اللبن يعني إذا وضعت الماء في البداية إذا كان اللبن متماسكاً نوعاً ما، في بداية الأمر الماء يكون ظاهراً على الوجه، وبعد ذلك ينزل الماء فيضل في اللبن، يذهب داخل اللبن، ضل الماء في اللبن هذا أصل الكلمة.

وَوَصَّلَ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۚ من الشركاء والشفعاء، الزعم مطية الكذب، "زعموا أن" كان ابن المقفع الذي ترجم كتاب كليله ودمينة للكاتب الهندي الشهير عندما بدأ قصته وقصصه عن الحيوان، يأخذ العبرة من الحيوانات وحياة الحيوانات، يذكر قصصاً افتراضية فيبدوها بقوله: زعموا أن... زعموا أن غديراً كان فيه ثلاثة سمكات، كبسة وأعقل منها وعاجزة، فمر صيادان فتواعدا أن يأتيا في اليوم التالي لصيد السمك، فأما الكبسة فقالت: العاقل يحتاط بالأمر قبل وقوعها، فقفزت من البركة إلى الغدير فنجت، هربت قبل أن يأتوا، وأما الأقل عقلاً فلما جاء الصيادان أغلقا البركة، العاقل يحتاط للأمر قبل وقوعها، الثانية مازالت في أخذ ورد: هل أخرج، لعلهم لن يأتوا، وإذا جاؤوا قد لا يروني، بصطادون غيري من السمك، بين أخذ ورد جاؤوا فكادت تذهب فتماوتت، طفت على الماء وأدعت أنها ميتة، فأخذها فوضعاها خارج البركة فقفزت إلى الغدير فنجت في اللحظة الأخيرة، أما العاجزة فمازالت بين أخذ ورد حتى اصطيدت فأكلت، ذهبت، فيروي قصصاً عن الحيوان يعلمك فيها أشياء ودروس في الحياة ويقول: زعموا، القصة لا أصل لها، زعموا. فقال: ۚ وَوَصَّلَ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۚ فقالوا: "الزعم مطية الكذب"، فكيف تزعمون أن لكم شركاء، وأن لكم شفعاء، وأن الأصنام تنجيكم، وأن الشفعاء يشفعون لكم عند الله، وأن الشركاء يقفون معكم، ۚ وَوَصَّلَ عَنْكُمْ ۚ لا يوجد أحد، أين الذي سينصرك؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا لَكُمْ لَا تَتَّضَرُّونَ (25) بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (26)

(سورة الصافات)

لم يعد هناك نصرة، لا أحد ينصر أحداً، الموقف فزادى كما خَلَفْتَكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ.

والحمد لله رب العالمين.